وداعا أيتها الحرب
وداعا أيها السلام

محمود درويش

● باب واحد لاكثر من زنزانة .

أو : باب واحد لكل الزنازين .

خرج ، ولم يعجبه الأفق . قال : هذا تربة المتاهة لا انعتاق الرؤية . وقف ليبحث عن شيء يرميه فيكسر به روتين هذا الأفق ، فكان القمر مندمجا . لعنه : حتى أنت يا قمر . جمع الجهات في قبضة يده ، فازداد لون الأفق خطأ . حاول العودة من حيث أتى ، فكان الطريق [سابقا] مسدودا بالأحاديث عن الحرب البعيدة .

كأنه ينزل الآن من أمه . والدهشة عيب في الخارج . قالوا : هذا واحد من أهل الكهف المنسيين . ضحكوا منه ، لأنه يستعمل كلمات مهجورة ، ويسأل أسئلة أسرتها الحرب . اسم الوطن ، على سبيل المثال ، عورة لا يكشفها المهذبون في الشارع العام . وكثير من الجنود ماذا يفعلون الآن ؟ يحرسون الأخلاق مثلا .

كأنه غضب وقال : قادم من الكهف ! نعم . ولكنكم ذاهبون الى الكهف . مد يده والتقط حفنة وحل ، وصاح : اعتبروها سؤالي : العيب في الخروج من العبودية ، أم في الذهاب الاختياري الى العبودية ؟. وحين دقق الخبراء والشعراء الفاشلون في ذرات السؤال قالوا : سرحان بهذي . وكانت سوق البضائع مزدحمة بالمتفرجين . وكانت الأسعار مخفضة للأبطال ذوي الحناجر المصقولة . وكان الشهداء عرايا على الرمل . وكانوا ، كعادتهم ، صامتين .

باب واحد لأكثر من زنزانة .

قال لهم : لا تقفلوه ، لان الأفق باب شديد الاحكام . والمدى مفتاح صدىء . كان من السهل على عينيه أن تخترقا البوابة الفولاذية المغلقة ، ولم تكونا قادرتين على ملاقاة هذا الأفق المعاكس : « ليس هذا بخار الدم » . ملوك يخرجون من المقاعد التي كسرها الغضب [سابقا] . ولغات مهجورة تخرج من الكتب التي أحرقها الغضب [سابقا] وتتجول في الشوارع والاذاعة والمكاتب الرسمية . وكل شيء للبيع . وحين حاول العودة اتهموه بالبحث عن السجن الاختياري ، وقالوا : هذه حرية اختيار ، فأعادوه مرغما .

ــ كنت أريد هذا . أنا الذي طلب . وليس هذا عقابا !.

باب واحد لأكثر من زنزانة .

هو : باب الحرية .

دوّن الجملة التالية : وداعا أيتها الحرب ! فأحس أنها جملة ناقصة . وقعت منه جملة مرادفة : وداعا أيها الوطن !